

MAYMOUNA EDDAKHIL

مذكرة تفاهم

ميمونة الدخيل



مذكرة تفاهم



اسم الكتاب: مذكرة تفاهم

اسم الكاتب: ميمونة الدخيل

نوع العمل: رواية

الرقم الدولي EBIN: 16-179-1-220731

الناشر: دار بسمة للنشر الإلكتروني

الطبعة الأولى: 2022م/1444هـ



دار بسمة للنشر الإلكتروني

00212771814934

دار بسمة للنشر الإلكتروني (المغرب)

basma24design@gmail.com

المملكة المغربية

مُحْفَوظَاتٌ
جَمِيعُ حَقُوقِ

دار بسمة للنشر الإلكتروني تُقدم جميع خدمات النشر، ولا تتحمل أي مسؤولية تجاه المحتوى، إذ إن الكاتب وحده هو المسؤول عن نتاج فكره.. كما لا يجوز بأي صورة نشر أو إعادة طبع أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو كان، أو بأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو بالتصوير أو خلاف ذلك، إلا بموافقة خطية من الناشر. ©

مذكرة تفاهم

رواية



ميمونة الخليل





الفصل الأول: إطلالة

بصيص من النور يتربص عند نافذتها، يطل بجيأ كلما اقتربت نسمة هواء جريئة، فأرعبت الستارة الغليظة، فتنتفخ إلى الداخل؛ وكأنها تحاول أن تصنع من قماشها شبحا ترعب به الدخلاء.

هناك من أغراه ذلك الانتفاخ، ليربح الستارة التي انكشمت في زاوية من النافذة، واستسلمت للحزام الذي شد وسطها. في حين، انتشر ذلك الضوء بصخب، وحي استجابتها لداعي الفطرة الحافلة بالنور الذي يشق ظلام الليل، وكأنه يكشف تابوتا تحذه بعضهم مرقدًا يأوون إليه بقية حياة تنبض في بعض أجزائهم المتهتكة، التي تن تحت وطأة المهموم.

لا تحظى نافذتها بإطلالة تستحق التوقف عندها، فنعت بما تدخله من هواء لطيف لا يتوافر عادة إلا في هذا الوقت من النهار. عادت أدراجها لترتمي على الأريكة المقابلة، حيث يروق لها أن تقضي صباحها بعدما حظيت به مؤخرا بعيدا عن الارتباطات الرسمية الفقيرة تماما من أي تقدير حقيقي، غير أنها الضرورة التي يتورط التطور والتقدم الحضاري بصناعتها، فهي كالتمثال الذي يجبر أحدهم على

التمسح به دون أن يشعر بأمل في الحصول على بركاته، وهذا كل ما يناله لاحقا.

والآن، وقد نالت حريتها، آن لها أن تتمتع بصباح تصنعه. شهقت لتسمح للمزيد من الأوكسجين بالمرور، ليتسنى لكل عضو أن يأخذ قسطا منه، فينشط به كما ينبغي لسائر يومها. فعلت ذلك، ثم ارتخت بهدوء بينما تزفر، وقبل أن تصل إلى الأريكة بخطوتين، ارتطم ساقها بطاولة لا تتمتع بثقل كافٍ لتصمد، فهوت وتناثرت الكتب المصطفة فوقها بعناية. تأوهت شفتاها دون أن تصدر صوتا، حدقت بضيق في الحادث الأحمق، كانت تنوي أن تتمتع بمزاج رائع، حدثت نفسها. يقولون: ما تعتقده الآن هو ما يصنع مستقبلك. أي معتقدات يعنون؟ ماذا كان يعتقد العالم عن نفسه حتى وصل إلى ما وصل إليه!

جلست القرفصاء بعد أن رفعت الطاولة الجاثمة أمامها، المزيد من التطور، المزيد من الكوارث. المزيد من الأذكىاء أو الأغبياء؟ هناك المزيد منهما جميعا وكأنتما متلازمان، بل إنهما يكادان أن يتلازما في الشخص نفسه، إذا كنت ذكيا جدا في مجال ما، فعلى الأرجح هناك جانب من الحياة تعاني من شدة الغباء في التعامل معه، هذا لا يعني إلا أمرا واحدا: أنت بشري. يقول بيتر دراكر: أفضل طريقة لتوقع

المستقبل هو صناعته. لشدة إعجابها بالعبارة كتبها في ورق لاصق وعلقها قبل أن تأتيها الحياة بقناعات جديدة وتسقطها من قائمة إعجابها، وذلك عندما اكتشفت أن البشر وإن كانوا مسيرين ومخبرين، فإن الجزء المرتبط بخياراتنا لعله الجانب الأضعف، وهو: ردود أفعالنا.

لذلك اختارت أن تلتزم الهدوء وتعيد ترتيب الفوضى التي أحدثتها، هذه الكتب كانت مصفوفة بترتيب معين حسب جدولة القراءة، حاولت أن تتذكر الترتيب السابق، وعندما تبين لها أن المدة ستطول، جلست على الأرض مطوية الساقين، وراحت تقلب الكتب وتنظر إلى العناوين، كأنها تراها لأول مرة، فقد زاد شغفها بها وشوقها إلى قراءتها وتقليب صفحاتها ونبش محتوياتها، لترحل إلى عالم آخر طالما شغفت به.

قررت أن تعيد ترتيب الكتب الأربعة الأسبق في القراءة، خمنت الكتاب الأول من الأخير؛ عظماء منسيون، وطفولة قلب، وغدا أجمل، ثم في الأعلى: لأنك الله. هناك كلمة قد تمر عليك، فإن لم تتفحصها وتأملها وتبحث عن حقيقتها، ستبقيك معلقا بها تعلق الحاجة التي يضطرب فؤادك لها، لأن لها موقعا لا بد أن تتخذه.

وفي كل فترة من حياتك ستجد الكلمة المفقودة لتكمل بها لوحة اللغز صورة قلبك، قد تكون الحب، وقد تكون الأمل، وربما النجاح، عندما تبحث عن محتويات قلبك، فستجد هذه الكلمة ومفرداتها قد احتلت الحيز الأكبر في محرك البحث الخاص بك.

وهناك كلمة من يجدها حقاً، يمكنه أن يجد في قلب لوحة اللغز الخاص به موقعا لائقا بها، فلها أن تملأ كل فراغ وبمفردتها، ستصنع الصورة الكاملة؛ لذلك شعرت نهاد بحاجتها إلى تصفح الكتاب (لأنك الله) أن تلتقط منه ما يهدأ عبث الفراغ في قلبها وعقلها حين موعد القراءة المحدد.

لكن هيهات.. وجدت نفسها تقرأ وتقرأ وكأنها تخرج من متاهات، استطاعت أخيراً حل ألغازها التي تكشف لها شيفرة علامات الطريق.

تلك الكلمات كانت كالوقود الذي أشعل حماسها حتى منتصف الكتاب، حين شعرت أن عليها أن تتوقف احتراماً لكمية المعلومات التي احتلت الفكر حتى تسلك طريقها إلى القلب وتأخذ فيه مكاناً بالكيفية المناسبة.



الفصل الثاني: أنوثة

وفي وقت آخر من اليوم، وفي حين ما يزال منسوب الإيمان مرتفعاً عندها، كانت تتصفح موقع «تويتر» عندما وقعت عينها على تغريدة لأحد كتاب الصحف الإلكترونية، والتي احتوت على الآتي: مقال جديد في صحيفة الشعب: المرأة السعودية دين ودنيا. وأرفق التغريدة برابط.

نقرت عليه، لينقلها مباشرة إلى موقع المقال من الصحيفة. قرأت المقال، فأنست به، وما زادها فرحاً وغبطة عبارة سجلها الكاتب، حيث يقول: وكأن الصفات تجر أشباهها في الرقي، فكلما زاد تدين المرأة سمى شخصها ورقى طبعها وطغت أنوثتها بالحياء الذي يعززه التدين.

شعورها بالامتنان لفكر الكاتب وذوقه، قادها لأسفل الصفحة لتسجل شكرها وعظيم امتنانها ما استطاعت من التعبير إنشاءً.

وحين همت، كان هناك ما أربك هدوءها ودثر شعورها وأثار غبظتها، عندما قرأت تعليقا على المقال: إلا يزيد إهمالها لنفسها، أعرف واحد

----- ميمونة الدّخيل -----

طلق زوجته لأنها مطوعة ولا تهتم بشكلها! الواحد يتزوج عشان
يشوف وحدة توسع صدره وتملي عينه.



الفصل الثالث: الرد القاصم على المدعي المهاجم

كان بالإمكان اختيار رد أفضل، رد يجعلها تبدو أكثر لباقة وتهديبا. كانت غاضبة، غاضبة جدا، فلم تر في رد ذلك الشاب إلا بلاهة وسفاهة لا تليق معها اللباقة. عندما تتذكر رده على المقال، تتمنى لو تتحول الكلمات إلى لكلمات، وقبل أن تخرج تلك اللكلمات من مخيلتها لترسم الصورة الكاملة لشاب مستهتر يندفع بقوة إلى الخلف بفعل اللكلمات؛ تتذكر الرد الثاني والذي كان موجها إليها كصرخة: هذه أخلاقك اللي تربيت عليها؟

تشعر بتأنيب الضمير، تتمنى لو أن نقده قد وجه إلى أسلوبها فحسب.

تتصارع الأفكار في رأسها: إذا كان من حق هذا الشاب أن ينتقد بحرية لأنه لا ينتمي إلا إلى هواه ومنطقه، أما هي فعليها أن تحترم ذلك وفقا لمنطقه هو، ثم تنقيد في ردود أفعالها بما تؤمن به من أفكار! هل هذا يعني أنه يحق لمن شاء أن يختار القوانين التي تحكم تصرفاته وتعاملاته! ألا يتضمن هذا اعترافا ما؟!

إذا كنت تحمل ثقلا من المعايير التي تحكم انطلاقتك، فهذا إذن
يضمن لك ضابطا لسرعتك، ثم لا يتوقع منك أن ترتطم أو تنجرف
أو تنحرف، وعلى النقيض، لا معايير إذن نتيجة متوقعة!

ثم هم يفرون منه، ومنهم، ومنهن بالذات!

لعله اعتقد أن المرأة تتخذ دورا واحدا تظهر به أبدا، فهي المعلمة
سواء في المدرسة أو البيت، وربما توقف خياله عن تصور حالها في
بيتها بغير أدواتها المدرسية. هل يظن أنه إن فتش مخابئ لباسها المنزلي
فسيجد إبرة حقن، وكرات قطن، ومسحة طبية، وقفازات بلاستيكية،
لأنها تمتهن التمريض؟!

لم تكن متأكدة إن كانت تشعر بأسف على ردها عليه عندما علقت:
«ياالمشفوح ياللي عينك زايغة من كثر ما تتمقل في الحریم ما صار
يملي عينك شيء؟!».

زفرت بجدة، كان يمكن أن يمضي ذلك بهدوء، لكن، لعل ضارة
نافعة، فأكوام الورق المتكدسة والتي سجلت فيها كل ما واجهته من
مضايقات أو منغصات بسبب معتقداتها وأفكارها - والتي لا تذكر
متى اتخذت قرار اعتناقها، قد يكون شيئا ولد مع نشأتها في أسرة تميل

----- مذكرة تفاهم -----

للمحافظة- وحتى الحادثة الأخيرة، مجموعة أطلقت عليها: الرد
القاصم على المدعي المهاجم.



الفصل الرابع: بداية الهجوم

هيأت كل شيء، سجلت في الموقع المتخصص في نشر المقالات التابع للنادي الأدبي، وجهزت مقالاتها التي كتبتها بعناية، حرصت أن تنتقي لها أقسى الألفاظ وأقذع الكلمات لتحصل على مقالات قوية كما تعتقد.

وها هي الآن تجلس أمام جهاز كمبيوتر محمول خاص بها، تحديق فيه، في محاولة يائسة لقراءة ما ستقدم.

تفاوتت الاحتمالات في رأسها، بينما تمر أمامها عناوين آخر المقالات، خطف أحدهم اهتمامها «هؤلاء المجانين»، شعرت بأنه قد يخدمها في حملتها القادمة على هؤلاء ذوي النظرة القاصرة ضد ذوي التوجهات الفكرية المحافظة.

نقرت على العنوان، فنقلها مباشرة إلى صفحة المقال، بدأت في القراءة، وفي عجل تنتقل في قراءتها البصرية بين السطور، وكأنها تتوقع أن تجد التأييد والمؤازرة عند أحدها، وعندما وصلت إلى المقولة: (قرر التعامل مع الأشخاص الذين لا يمكن مناقشتهم والحديث بصرامة

معهم كمجانين، حينها لن تلومهم على أخطائهم، ولن تلوم نفسك على عدم اتخاذ موقف جاد ضدهم).

ارتخت أعصابها قليلا، بينما ترمش عينها بعصبية، وكأنها تحاول منع ولوج الفكرة إلى دماغها قبل دراستها.

أخيرا، استنشقت الهواء بقوة في لحظة إعلان رضا عن المقولة.

ألقت نظرة صغيرة على مجموعة الأوراق المتكدسة أمامها أو ما تسميه: بالرد القاصم على المدعي المهاجم.

مدت يديها إلى الأوراق في توتر واضح، ثم تركتها تسقط على حجرها لتزلق وتستقر عند أقدامها دون مبالاة. فيما أبقت وريقات بين يديها، تصفحتها بجرح تشي به عجلتها قبل أن تضمها إلى مجموعتها بعد أن بدأت كما توحى نظرات كاتبها لها؛ بأنها أقل من أن تنظر إليها.

وضعت كفها على صدرها وحركت شفيتها دون أن تنطق بكلمة مسموعة، في هيئة عندما يتمثلها أحدهم يعبر بها عن شعوره، بالراحة أثر النجاة من أمر ما، فيحمد الله.



الفصل الخامس: بداية حقيقية

(دائماً أردد اهدنا الصراط المستقيم، ولذلك لماذا لا أغير؟)

د. سليم العائد

كل شيء لا يبدو كالسابق، حتى طريقة جلستها على الكرسي أمام شاشة الجهاز تبدو أكثر هدوء واتزان، واللقب الذي اختارته لنفسها لتتعلق في مجال كتابة المقالات، أضفى سمًا حلّ بهدوء وكأنه اعتاد الإنسان، الإنسان الذي يفتقر إلى التقدير بعله عوزه وينعم بالخطوة ويتمتع بالوجهة بفضل ماله، الإنسان الذي تقلبه عن حقيقته أو لعلها تظهره على حقيقته معاني الألفاظ ودلائل النعوت فتتلبس سحنته روح الشياطين حين يغضب، هو نفسه حين يتسم تلين قسماته وتلطف ملامحه حتى كأن الشياطين لم تحضر مولده، وحنقا تقرصه.

لسبب ما اختارت (الغطاء الاسود) لقبًا، و(مذكرة تفاهم) عنوانا لمجموعة المقالات التي تعترم نشرها.



الفصل السادس: الغطاء الأسود

قد يكون بإمكان الجميع حزر أعمارنا، أو على الأقل الفئة العمرية التي تنتمي إليها من خلال عدة أمور، وما لم أتوقعه أن تتخذ هيئتي الضافية معيارا يبنون عليه توقعاتهم عن مرحلتي العمرية.

حتى صوتي الفتي الذي ما زال يودع نبرة الطفولة، لم يابه له - ذلك البائع الذي إن كان لم يتجاوز الثلاثين من عمره، فإن ملامحه وهبأته لم تنصفه - قبل أن يقول: تفضلي يا خالة! نظرت إلى جواري، وحين لم أجد أحدا نظرت إلى الوراء، ولم يكن هناك أحد أيضا!

قد أكون في سن ابنته الكبيرة أو أخته الصغيرة!

لولا أن لا جرأة تسعفني وعقلي لم يهديني إلى ما يجب أن أفعل لأظهر امتعاضي، لكنت قلت له: (تخلخلت عظامك!).

هذا الموقف السخيف بقي يتكرر بوقاحة حقا، أصبحت خالة حقا، لكن، ليس لرجل يكبرني بعشرين سنة على الأقل.

لذلك قررت أن أتخذ الإجراء المناسب، ولأمنح قراري قوة وقداسة صغت فكري كالتالي: ليس مما يوقعني في الحرج دعوتك لي بأختي أو

ابنتي، وهيتي هذه قد تبدو مخادعة إذا ما استدليت بها إلى طول السنين التي تخطيتها، ولكنها صادقة وحقيقية لتجد في معناها الارتفاع الذي أقف عليه. وما العمر بمقدار الزمن الذي تعيش فيه، ولكنه مقدار ما توفق من عيشك، كما يقول الرافي.

أعترف أبي في خروجي الأول للتسوق بعد هذا القرار، ضايقي أمر ما، وهو أن كل البائعين الذين تحدثت معهم، لم يقل لي واحد منهم يا خالة!

كيف يمكن لي الآن أن أرد، ستبقى تلك الكلمات تتردد في صدري إلى أن تخرج.

لا أخفيكم أنني فكرت حينها أن أجعل صوتي طعما، ولم أفعل لأن هناك من قطع حبل أفكاري، وهو يصيح بحماس: تفضلي يا خالة، تفضلي يا خالة.

بائع يقف عند باب محله وقد ابتعد مسافة قصيرة عنه ليسمح بالمرور، بينما يمد يديه في اتجاه الداخل في حركة استعراضية، وقفت لحظات أنظر وأظن أن شبح ابتسامة ارتسم على شفتي.

اقتربت قليلا لأرسي كلماتي دون أن تقفز لغير مرماها، كنت أقف ببلاهة حتى انخفض صوت البائع، واكتفى أخيرا، يقول: تفضلي، وهو يدلّف مرتابا إلى داخل المحلّ.

ربما اعتقد أنني مجنونة لأن ما كنت أردده أصابه بالخرس. لقد كنت أستغفر، اعتقدت أنني أسمع نفسي، لكن، عندما انخفض صوته كان صوتي واضحا.

والآن، وبعد هذه السنوات أجدني متحاملة جدا إلى الدرجة التي تمنعني من الدخول في جدال مع أحدهم.

هذه الفكرة مرضية حقا، على الأقل وضعت حدا للتفكير في «خالة».

قد يجب أحدهم أن ينادي بالخوولة أو العمومة حتى من شخص أكبر منه سنا، لكن، أن يفعل هذا الشخص الكبير ذلك لأنه يعتقد أنك أكبر منه حقا، فليست تلك بالفكرة المحببة!



الفصل السابع: المقال (2) نداء من آخر الفصل

لماذا نعجب وندهش من رؤية أطفال صالحين وذوي مبادئ؟ وكأن الطفولة ملحدة لا دين لها! حتى من يدعون بالمراهقين، تحتم معتقداتنا عليهم أن يكونوا فتيان تائهين فكريا متمردين سلوكيا! وكأن توجه الإنسان ومذهبه يظهر فجأة دون سابق تكوين!

ربما لهذه العلة بالذات، رغبت بأن أكبر بسرعة ليكون من الطبيعي أن أجهر بمعتقداتي وأفكاري، حتى لا أضطر للوقوف شاحبة الوجه، مضطربة الملامح، قلقة الفؤاد، معدومة الحيلة، ظاهرة الروع.

كتلك التي وجدت نفسي إزاءها، بينما كنت أفر منها إلى باب الفصل، حين ضج الفصل بنشاز صوتي يرتفع بالفكرة المنبطححة بين خفقات العشاق في ساعة دراسية، غابت المعلمة عنها وتكرنا بلا معلمة بديلة.

وعندما وصلت إلى الباب كانت إلى جانبي أخرى لم يعرف عنها كما الشائع عني! كما لم تعرف بغير الهدوء الذي يبقئها بعيدا عن الباب،

همست في أذني وكأنها تضعف ضعفها بالعدد: لا يعجبني لهوهم،
قالت ذلك والامتعاض باد على وجهها ونبرة صوتها.

شعرت بفرحة جعلتني أبادر لأؤكد لها أننا متفقتان، وأنا أدرك أنها لم
تخبرني لتبوح بسرها، بل لسابق علمها بفكري، وبينما يتسلل الهدوء
إلى ملاحي وقلبي، شتته صوت نداء من آخر الفصل، سمعت اسمي
يتردد والعيون شاخصة إلي في مشهد مرعب لم آلفه ولم يطف بخلدي
حتى في الكوابيس، والمؤكد أنني لم أرغب فيه حينها، بينما ألوذ
بالمخرج وكأني أستعد عنده للهروب مما أخشى مباغتته!

حاولت طرد روعي ولم أشأ أن أظهر بمظهر الضعف، حتى لا يبدو أن
ما أخفيه خطأ، لكن، العنق الذي امتد إلى الأعلى أكثر ليتسنى له
رؤيتي وتوجيه السؤال بنبرة متسائلة، ولا أتوهم إن قلت متعجبة
مستنكرة: ألا تتجنبن اللهو؟!

** *** **

تراجعت في جلستها إلى الخلف قليلا لتتيح لضحكها الانطلاق في
مساحة أكبر، بينما ما تزال ذاكرتها تقف عند باب الفصل حين رن
جرس المدرسة الذي لم تتخذ موقفها حياله حتى الآن.

مِصْنَعَةُ الدَّخِيلِ

هل يكون أنقذها من تحقيق لم تعد له مسبقاً؟ قد ينتج عن ذلك إجابة قد تخجل من ذكرها مستقبلاً أو تعتبره تركها معلقة حين قطع عليها فرصة لتأكد فيه شكوك زميلاتها بفخر يبقيا مطمئنة في كرسياها أبداً.

تأملت، قد تكون وجدت سبباً مقنعاً يجعل الطفل يتمنى أن يكبر، أو بتعبير أدق يجعل الكبير يتقاضى عن مساوئ التقدم في العمر مقابل أن يحصل على حقه في إعلان معتقداته وممارستها.

أخيراً، مسحت بعينها المقال الجاهز للإرسال، ونقرت «إرسال».



الفصل الثامن: نظرية المؤامرة

لم تمض سوى ساعات قبل أن تتلقى التعليق الأول منذ أن بدأت بالكتابة، التعليق الذي ترقبته طويلا، قرأت: حشا حرب مو فكر! ردت دون تفكير: هذا ما شعرت به حينها. ويبدو أن الرد الذي تلقاه أغراه لبدأ حوارا، فكتب: أنتم المتشددون تعطون أنفسكم أكبر من حجمها، تحسبون العالم فاضي ما عنده إلا يتآمر عليكم!

فكرت إن كان من اللائق أن تجيب بلهجتها العامية، فذلك سيمنحها مرونة أكبر في اختيار الألفاظ أمام لغتها الركيكة في مجال الردود الغاضبة.

كتبت: (لا أحد يتآمر ضدنا فهم أحقر من أن يفعلوا ذلك، لكنهم، بلا شك يتحينون الفرص). جاء الرد سريعا، لأنه لم يحمل إلا حرفا واحدا مكررا (هههههههه)، ثم أتبعها: (يا أقوياء يا خطيرين!).

ولأنها تعلم أن ردها التالي لن يكون مهذبا، قررت إنهاء الحوار وإغلاق الصفحة.

الفصل التاسع: لا تحب

وخلافا للعادة، جلست نهاد منزوية عن صدر المجلس وعيناها تحوم في السقف، وعندما شعرت بالنظرات المتسائلة حولها تحدق بها، أخفضت رأسها متظاهرة بالانشغال بشيء ما ليس لديها فكرة عنه!

لكن، إحداهن باغتها بسؤال: بماذا تفكرين؟

وحين لم ترد، لأنها حتى تلك اللحظة لم تفكر بإخبار أيا كان عن مقالاتها الإلكترونية، لأنها تخشى المثبطات، ومبدأ (قضاء الحاجة بالكتمان) لم يغب عنها قط، على الأقل في بداياتها، لذلك التزمت الصمت الذي يشي بمحاولة صاحبه الفرار من خلال الابتسامة البلهاء التي تتأرجح على شفثيه.

- لا يكون عريس من هنا ولا هنا!

- لا يا بنت الحلال.

قالت ذلك وهي تقطب جبينها وتنظر إلى الجهة الأخرى وتحرك يدها، وكأنها تطرد الهواء في دلالة لبعده الموضوع.

-أجل حب! قالتها فتاة أخرى وهي تمط الحرفيين الآخرين
لتنمکن من التقاط المفاجأة على وجه نهاد قبل أن تداربها فتكون
قد أوقعت بها، وحصلت على اعتراف سريع.

ودون أن تمنحها فرصة للرد، همست أخرى وكانت تجلس مكتوفة
اليدين:

-لا، هذه من الصالحين، لا تحب!

لم يكن متأكدات من فهمهن لهذه العبارة أكانت قدحاً أم تزكية، وإن
كانت التزكية هي الاختيار الصحيح فسيكون هذا مرضياً، لكن، كل
القرائن تنفي هذا الاختيار، فردت مريم التي تقف أمام دلة القهوة تم
لماء فنجانها، ولكنها، غيرت رأيها وأعدت الدلة إلى مكانها، فيما
أسندت يدها إلى خصرها في مظهر احتجاجي.

-وش قالوا لك؟

ثم التفتت إلى نهاد وحرصت على أن تلتطف نظراتها حين قالت:

-أکید تحب أخوي!

قاطعتها أخرى وهي تخرج كلماتها مع زفير: أهم شيء تحب الله
ورسوله.

شاركت الثالثة وقد اتخذت سبيلا آخر للدفاع: ترى أمي محافظة وما أرضى على الي مثلها!

أحيانا عندما يثار أمر ما ضدنا أو مخالف لحقيقتنا، سنتطق الكثير من الأفواه للذب بطريقتها، ربما لم تقل إحداهن ما يجب، لكن على الأقل الجميع يشعر بأن ثمة خطأ في الفكرة ولا ضير على الحقيقة أن تنتظر إلى حين يكتشفها الباحث عنها بشغف، فعندئذ سيكون الوصول إليها إيمانا، لذلك فضلت نهاد احتساء قهوتها قبل أن تبرد.



الفصل العاشر: المقال (3)

على عجل

عندما أنشر ما هو مكتوب في هذا المقال، هذا لا يعني أن هناك ما أحدثته في أفكاري وأسلوب حياتي، بل هذا ما نشأت عليه. ويمكن اعتبار الكلمات التالية توضيحا لبعض سلوكيات من يعمد المجتمع - بفضل جذورهم الفكرية- إلى نبذهم كطائفة عاجزة عن تفهم مغزى التشرد المعياري الذي يرفض الخلود لمبدأ لم يعد ذا نفع في الظروف الآنية.

حسنا، أحب أن أعتني بهيئتي ومظهري بدرجة لا تقل عن الآخرين، ولدي من العطور والبخور ما يدعو الآخرين إلى الإعجاب، وعندما تُشتم مني رائحة تنكرها فهذا لا علاقة له بقيمي ومبادئ، بل بالصحراء التي أعيش فيها!

وأعرف من متع الحياة كما تعرفها، ولكني، أنتقي منها ما يصلح لي، كما لا يحق لأحدهم أن يعيب عليّ عدم تناول الطماطم أو البصل النيء، يجب أن يبقى على طريقته مع رغباتي الأخرى، وما يجب أن

----- ميمونة الدخيل -----

يعرفه الآخرون حقا هو أنني ألقى النكات وأضحك حتى وأنا صائمة
في نهار رمضان.

وأقول على عجل: أحب الليل إذا انسدل تسري في ظلمائه همسات
الغزل، وأحب شعاع الأمل وجو صحو معتدل، وسماء ترتفع لتظلل
فروقات البشر، وحياة تلهج بذكر الإله عز وجل. وأمتلك صدرا
يحتضن قلبا يمنح الآخرين إذا احتاجوا، لا إذا اعتقدوا.



ما الحب؟

عندما تُعرف الأشياء، تضيق معانيها، الحب هو كل شيء، وكل شيء لا يمكن أن يحد بمعنى.

هل هو حس؟ فهو إن غلب صاحبه بان، وإلا توارى خلف كبريائه. أم هو همس؟ فالخرف سجية وصنعة ومن يبرع في صنعته يظهر بما على أهل السجية، ولله در قلب ارتشف حلوا من كلام فكان لغوا من أحلام، فمات قهرا، مات كسرا، مات قلبه عدا عن الخفقان. أو لعله اللمس، وهو إن كان كل الحب لدى العايش، فهو ثمرة الحب عند المخلص حتى لا يحل لنفسه عزيزا إلا بحقه. هل هو هم جميعا؟ سيقول المحبون: بل أكثر.

لذلك لا يجب أن نبحث عن فهم دقيق للحب، فهذا سيفسده كما يقول مصطفى صادق الرافعي: إن دقة الفهم للحياة تفسدها على صاحبها. وكذلك دقة الفهم للحب.

الحب سحابة تأتي بغتة فلا يُعلم من أين أتت؟ وأين ستذهب؟ فقد تذهب وقد لا تذهب.

----- ميمونة الدخيل -----

الحب سحابة تظلل القلب وقد لا تمطر، تجعله لا يرى قطعه المتفرقة
إلا معاني للحب مجتمعة، ثم لا يرى شيئاً آخر، ويغمض بصيرته جفاء
إن شاغب شعاع شمس فشق حجبته ليقظه، فلعله يجد في العالم شيئاً
آخر غير أرض السحابة التي ظنها كل العالم.

الحقيقة القارصة التي لم يترك لنا العقاد سبيلاً للاحتماء منها، حين
قال: أن الحب قضاء يملك الإنسان ولا يملكه الإنسان.



الفصل الحادي عشر: وردة

كان وقع تلك الكلمات لذيذا إلى درجة الحذر، فجلست بكسل على طرف السرير، بينما تتدلى إحدى ساقها وهي تفكر بما حاز عليه مقالها الأخير من مبالاة القراء، وبأنه أخيرا وجدت أثرا طيبا لما تكتبه. في حين فاجأها تنبيه رسائل الواتس أب على جوالها، ألفت نظرة متعالية على الشاشة، كانت مريم بنت خالتها قد أرسلت رسالة من ذلك النوع الذي ما عليك إلا أن تنسخه وتلصقه، ولصعوبة التحقق من مضمونها يتم التغاضي عن ذلك، ويمكن لحسن نيتك أن تشفع لك في حال فساد المعلومات التي أرسلتها. فتحت الرسالة، وقبل أن تشرع في قراءتها تلقت رسالة أخرى من مريم.

-محمد يسلم عليك. أرفقتها برمز تعبيرى لعين تغمز.

وحين لم تتلق ردا أرسلت:

-ردى السلام، تراه واقف فوق رأسي ينتظر!

ولأنها في حال من الرضا يمكن لها أن تصدر عفوا عاما عن كل من أغضبها، أرسلت:

-الله يسلمك ويسلمه.

أردفتها برمز تعبيرى لوردة لا تعبر إلا عن حالتها النفسية، لكنها، جعلت الطرف الآخر يفتح عينيه على اتساعهما، وبعد أن تأكد من الرد بأن قرأه مرارا وصدق في الرمز المرافق، بدأ يصفق ويصفق جذلا.

-استغلت مريم هذه الفرصة، وأرسلت: يعني أفهم أن الموضوع خلاص؟!!

ولئلا تفقد نهاد حالة المزاج الرائع جدا، فضلت أن تغادر المحادثة وتعلق الجهاز دون أن تصدر ردا.



الفصل الثاني عشر: المقال (4) ورق العنب

يحظى ورق العنب على حب وإعجاب الشعب العربي، وتجربتي معه مرت على عدة مراحل، لذلك سأحكي لكم قصتي معه.

تذوقته في المرة الأولى دون أدنى شك في لذاعة طعمه، ليست ثقة في الصانع ولا الناعت وإنما لكثرتهم. لذلك في تجربتي الأولى، ألقيت بجة ورق عنب في فمي وقضمت جزءا منه، فباغتني بأن تدرجت حتى وصلت إلى أول الحلق، وكرد احتجاجي لم أتنبأ له بدأ عنقي يلتوي ذات اليمين وذات الشمال، فابتلعته لأتخلص منها على أن ألفظ الجزء المتبقي إلى الخارج، لكن، شفتاي مزمومتان على نحو أرغمني على الاحتفاظ به، وتعسر علي مضغه لقساوة ورقه فابتلعته، وحين أفقت وفتحت عيني كنت ما أزال أعاني من ألم في أطراف فكي تحت أذني إثر النزيف اللعابي. وقعت عيني على الفتيات المتشوقات إلى إعلان إعجابي بأكلتهن المفضلة، صرخت مستنجدة بالماء وأكدت دون قسم عدم عودتي لتناول هذه الطحالب القبيحة.

ومن الجيد أنني لم أستهن بالقسم وأطلقتها، فقد غضضت الطرف عن الماضي ومنحت نفسي فرصة أخرى بعد خمس عشرة سنة من الفرصة

الأولى، وذلك بعد أن برز أمامي صحن لورق العنب قد تالّأ سطحه بفضل زيت الزيتون الذي عكس أنوار إضاءة السقف فأكسبه بريقاً، تراصت حوله شرائح البطاطس التي تغير لونها بفعل البهارات، وفي زوايا الصحن النفت شرائح الجزر الطويلة لتكون وردة برتقالية اللون قلما تجد مثيلاً لها في الطبيعة.

ومع هذا لم أجرؤ على تناولها، ليس لقلّة جاذبيتها، بل لخجلي من نقض كلامي، حتى بعد أن أكد لي الجميع أن هذا الطبق سيكون مختلفاً لأنه من محل تميز في صنعه؛ تذوقته فقط بعد أن أجبرتهم على القسم ونجحوا ونجحت التجربة.

لا تحكم على شيء لأنه قدم لك بشكل غير صحيح، قدمه أنت بالشكل الصحيح. تعتقد نهاد أن مقالاتها قد وجدت لها قارئاً وإن لم يكن بالمستوى المطلوب، فأحدهم رمز لاسمه (عبود)، كتب:

- ما فهمت شيء!

أما (نورا الحلوة)، فعلقت:

- مذكرة تفاهم مع الورق عنب!



الفصل الثالث عشر: المقال (5) هل يكون الصيني أمريكيا؟!

عندما يقسم بالله أبيض الوجه أفتس الأنف صغير العينين، حتى لتظن وأنت تنظر إليه أنك تنظر إلى جلد ممدد على ترس ثم صنعت فيه ثقبوا: هم الفم وفتحات الأنف وفتح فيه شقين: هما العينين، فكان الوجه؛ فإذا أغمض حواسه وملامحه كان كصفحة بيضاء، ويحتج بطلاقته في اللغة الإنجليزية وباسمه الأول والثاني اللذين ينتميان إلى الثقافة الأمريكية بأن والديه ووالديهما أمريكيان الأصل.

إن معلوماتك الصحيحة وخبرتك الكافية سيمنعانه من التغيير بك وخداعك، أم هل تراك تعتقد أن الأمريكيين يحملون تلك المواصفات؟!

إذن، لماذا تسمح لك معلوماتك وخبراتك أن تحكم على شاب يعيش في منزل والديه وقلبهما، تكسيرا وتقسيرا لاعتقادات يضعف قوي البصيرة، طاهر السريرة، أن ينظر إليها إلا من حقيقتها المجردة من أتباعها؛ حين سلكوا بها طريقا لغرورهم وطيشهم لا لعقولهم وفكرهم. أي حق يخوله تغيير أفكارك؟ لماذا لا تحافظ على أفكارك بعيدا عن متناول الطفيلين؟

قبل أن تصدر حكما، انظر بعقلك لا بعينيك.

خبراتنا السابقة عن الأشياء ستعاني أبدا من القصور، فليست هناك خبرة كاملة على الإطلاق. يمكن أن تقف متأهبا حيال الأخطار التي تتوجس وجودها ولن يكون الضعف أو أحد مشتقاته هو الوصف الصحيح حيال وقوفك حينها عند الباب. ولكن، إذا اتخذت خيار الهرب ونفثت الروح في معتقداتك السالفة أو التالفة لن يضرك إن وصمك الآخرون بالجن أو الجمود، فهذا ما فعلته أيضا.

الأرشيف

بقي المقال الأخير يحتل حيزا من أرشيف البريد الإلكتروني دون أن تقدم على نشره في الموقع.

تدرك تماما أنها بدأت تغوص في البحر، وربما المحيط، دون أن تمسك بجبل نجاة، ودون أن تملك أي فكرة عما يمكن أن يعمل كجبل نجاة لها.

تطمئن أحيانا لقللة اهتمام القراء بمقالاتها، فهي لا تحظى بتفاعل كبير. هذا شأن كل اختلاف، وهذا لا يبرر رفضنا للحق، لأنه يختلف عن الأسس التي غدت أدمغتنا؛ هل نخشى عليها من الهلاك إن فقدت ما ألفته من غذاء؟! حتما ستصاب بالغثيان، ليس لأنه ملوث، الحق لا

يحول ولا يزول ولا يتغير، فلماذا تحاولون تشويه وجه الحق؟ هذا ما يقوله جبران.

الغثيان لن يقتلها إذا كان ما سيحرفه هو الداء المتسلط، ولن يتوقع منه أن يخضع للرحيل.

ثم تسخر من هذه الفكرة متسائلة عن هدفها من نشر هذه المقالات إذا كانت ستختصر انتشارها على فئة صغيرة غير متفاعلة من القراء. حزمت أمرها أخيراً، وقررت تأجيل نشر مقالها الأخير إلى حين.



الفصل الرابع عشر: البداية

الحب سحر يزِيل كل الفروقات والاختلافات، وقد يفيض عليها فيجليها للناظر، ويبرزها وكأنه يرى فيها فارقا للتمييز. ويأتي على العيوب فيغرقها في بحر الحسنات، فتذوب فيه، فلا تكدره، بل تصنع كثرتها وتملاً عمقه وتمد في أميالها فلا يُرى لها آخر.

وللحب ثقله ووزنه، لا سيما إن كان أساس قواعده من الطفولة. أحبها حبا ثقيلا لا ينوء بحمله. هذا الشعور الذي داعب طفولته فأفصحت البراءة عنها بلطف وصفاء يأتي على أناملهم الصغيرة فيبيثها حيوية، تتراشق الأيدي حتى كأن أحدهما يرسل حبه واهتمامه فيتلقفها الآخر دون أن يقرأها ويحللها، ولا يدرك حقيقتها إلا أنها لامست رضا نفسه وقبولها فأودعها قلبه ليبيثها في حينها.

برغم الاختلافات بينهما إلا أنه أحبها وهو يكره أن يسأل لماذا، حتى بعد أن كبرا وغدت تلك السنون بما فيها تلك الاختلافات، وعلى الرغم مما تقوله والدته من أنها لا تصلح له، وإنما هي كالغذاء الشهي يشتهيهِ العليل الذي أوصاه الطبيب بعدم الاقتراب منه، فهو لذلك يمتنع.

لكنه، لا يراها كذلك، بل هي عنده الدواء لأسقامه، فهو ما يزال متشبثا بها وهي ما تزال تماطله الحب وتغض طرفها عن بريقه، وكأنها تخشى من أن يصيب قلبها عمى الحب وتتهيب الاقتران به وولوج داره، دون أن يكون لعقلها رأيا يشير به مع تشجيع والدتها لها. وتذكر دائما عندما وصلت سن البلوغ وقررت أن تختفي عن ناظره وأعلنت ذلك دون خجل.

وحدث أن كانت في حجرة مع بقية الفتيات، عندما دخل محمد فجأة دون أن يمهد لدخوله متجاهلا رغبتها، حينها صاحت معترضة وأرغمته على الخروج، بينما يغادر مستاء، كانت والدته تتجه إلى مكانه الأول، فاصطدمت بنظراته الخجولة وحركة جسده المرتبك، فلم تدعه حتى عرفت ما به، فقالت بصوت رفعته بقدر ما يمكن أن يسمع نهاد: من زينها!

-مع كل هذا يا أمي وتحاولين إقناعي به! خالتي تعتقد أنني مترمنة.

قالت نهد ذلك بعد أن عادت بذاكرتها إلى ما يقارب سنوات عشر ماضية، وتشعر أنها تواجه الموقف ذاته، فذاك الشاب يحاول أن يدخل حياتها متجاهلا رغبتها ورغبة والدته، وها هي تصيح معترضة

كل محاولات الإقناع وتتوجس إذ ذاك وكأنها تسمع صوتا يشبه صوت خالتها، يردد بازدراء (من زينها!).

فتقطع أمها توجسها، فتقول:

-المهم هو.

-و هو لا يناسبني، ألا يكفي أنه لا يكاد يرى من الحياة إلا هزلها
وعبثها؟

-وعين الحب عن كل عيب كليلة.

-الحب أعمى.

-أحيانا، أجمل أن نعيش عميانا.

-!؟

-ألا ترين أخاك؟ هو وزوجته مختلفان في نظرتهم للأمر اختلافاً
لا يطغى على اتفاقهما، وهو الأساس الذي اجتمعا عليه.

تقول ذلك بينما تحرك يدها بانفعال مشيرة إلى ابنها باليد اليمنى
وزوجته باليد اليسرى في إشارة ضمنية إلى مدى الاختلاف بينهما،
لكنها، ضمتهما عندما ختمت: والحمد لله.

ردت نهاد بيأس: لا تنجح كل الزيجات.

-هذه حال الدنيا على كل حال -تقدمت بجسدها لتقترب بفكرتها
أكثر ووجنتها تتشرب حمرة انفعال المشفق - طريق الحق واحد
ويخطئ من يميل عنه لكنه باق على الطريق طريقنا ومنهجنا جميعا.
اطردي الوسوس الآن، خالتك تلمح بين الفينة والأخرى، تريد أن
تتلقى ردا حتى تتم الخطوبة رسميا بعد أن يتوظف.

-تمنت دون أن تتلفظ، أن يتأخر ذلك.



الفصل الخامس عشر: إيقاف

وحسما للتأجيل المتعمد، اختارت أن تنشر مقالها الأخير (هل يكون الصيني أمريكيا؟) الآن، وشعرت أن لنفسها ومقالاتها حجما وثقلا أكبر من الواقع.

وفي الحقيقة، تعتقد أنها أقل من أن تقرأ، فضلا أن تمس بأذى بسببها؛ إذن والحال كذلك، تم نشر المقال بنجاح.

ابتسمت بسخرية أكثر مما كانت تفعل حين لم تجد تعليقا على مقالها، وتظن أحيانا أنها تمت لو تلقت ردا مسيئا على ألا تجد إلا التجاهل، على الأقل ستحس بوجودها، وأن كلماتها شيء يستحق الاهتمام والنقد.

كان ذلك بطريقة ما حافظا لها لتكتب مقالها الجديد.



الفصل السادس عشر: المقال (6)

اعفوا عني

لا أعلم كيف يمكن أن يكون تعليلا كهذا جوابا مقنعا!

حين ننكر على أحدهم أمرا ما له علاقة بالمبادئ، يردد كما يفعل غيره ويعتقد أنه على صواب، خاصة إن وجد الصمت من الطرف الآخر الذي يجد في الإجابة دلالة لا تقبل الشك أن صاحبها ذو عقل أقل من أن يناقش عندما يقول: لم أدع أنني من أصحاب هذا المبدأ. لا أدعي الالتزام!

هل سيسقط التكليف عندما نستخدم هذا الأسلوب كراية بيضاء نعلن من خلالها عدم انتمائنا لهذه الفئة أو تلك وبهذا نرد عنا المتكلمين؟! وسنكون في حل من المساءلة والمحاسبة؟

إذن هل سنقبل من السارق حجته بأنه لا ينتمي إلى جماعة المتعطفين الزاهدين ونعفو عنه؟!

يا هذا! إن اعتقدت أن تلك حجة صحيحة، فهل لأحدهم أن يرجو عفوك لتتجاوز عن إساءته لك، وتلتمس عذرا أنه لا ينتمي إلى حزب الأدب والأخلاق؟!



الفصل السابع عشر: لا ترقص

-اليوم زواجهم.

أعلنت مريم للعائلة لترفع من حماسها في متابعة المسلسل العربي الذي وصل إلى لحظة زفاف العروسين ثم توقف في نقطة تم الاتفاق عليها سابقا، بحيث تتيح لأهل العروسين التحلق حولها والبدء في الرقص، فيما يتقدم إخوان العروس لتشجيعها على مشاركتهم، وهي تحاول أن تظهر تمنعا، فترتفع الأبصار تقديرا وتطير بها القلوب ولعا، هنية وتنطلق بروحها وجسدها وكأنها تعلمهم كيف يكون الاحتفاء بالمناسبات. فحسبها ما حصلت عليه من إطراء الناس مما رأوه من تمنعها أول الأمر.

وفي هذه اللحظة بينما يحتفل العروسان، زفر محمد الذي كان يعبر في عجلة، ولكن تغيراً طراً على خطته، جعلته ينضم لبقية العائلة المتفرجة، وقال بنبرة مقصودة: عقبالي.

نظرت إليه والدته من خلف كتفها وقد تفاجأت بوجوده ورد فعله، ولم يفتها مغزاه، فقالت وقد لغمت كلماتها سخرية: من مين إن شاء الله؟

رد عليها في محاولة بأن يوقعها في حرج أكثر مما فعلت: وحده تعرفينها أكثر مني.

ولكنه شعر بأنه منحها فرصة أخرى للسخرية منه، حين قالت: وأعرف أنها ما تصلح لك.

صمت وهو يجد في البحث ليجد ردا آخر لا يشكل فخا له، استغلت والدته هذا الصمت، فقالت على نحو مفاجئ تشير إلى شاشة التلفاز: وما تعرف ترقص.

رد بتهور جعله يقسم على أن يفكر بخاطره قبل أن يطلقه: التلفزيون مليون راقصات.

لم يحصل ذلك الحوار على اهتمام ولم يلفت انتباه أحد عن مراسيم الزفاف، إلا في تلك اللحظة التي نظر فيها الجميع في لحظة انتصار الأم التي جعلته ينطق بما هو ضده، وباختصار يوضح قبح رده وكأنه بصقة يلقيها أمام الفتاة التي يسعى للارتباط بها، وليخفف من مرارة الحرج، غادر الاجتماع العائلي متعللا بهاتفه.



الفصل الثامن عشر: مفاجأة

بداية طريق النجاح، عنونت لمذكراتها التي غالبا ما تكون من نصيب الإهمال، لكن، ليس أمام حدث مهم كهذا.

أحيانا نغفل عن نجاحاتنا، وربما لا نمنحها القدر الكافي من الفخر كتلك التي يتم الاعتراف بها من قبل الآخرين، ولاحقا سيكسبها ذلك ميزة يجعلها في المقدمة الفخرية للسيرة الذاتية.

وهكذا يتسول الإنسان معناه، لا في عينه هو، بل في عيون الآخرين، عندما يمنحهم الحق ليملؤوا خانات تقويمه بمعايير لم يشارك في اختيارها، قد يسمع التصفيق الذي يحيي إنجازه والثناء الذي يبارك امتيازه، لكنه في الخارج فقط، أما داخل أعماقه فهو لا يجده مخالفا معنى الضجيج.

بدأ ذلك عندما أعجب أحد مشاهير الصحافة بمقالها السابق (أعفو عني)، فعمد إلى نشره في صفحته الشخصية في تويتر، وأرفق التغريدة رابط المقال في الموقع.

على إثر ذلك تلقت العديد من رسائل التشجيع وعبارات الثناء والمديح التي نشط لها حسابها في تويتر، وكأنه قد دخل عهدا جديدا أو انتقل إلى مرحلة أخرى، مرحلة الوجود المعلن، وكأنها كانت من فرط إهمالها لا تفعل إلا أن تهمس، ومن جميل الصدف أن وقعت على سمع من يمتلك الصوت العالي والنبرة الفارهة أو كأنها طفل لا يجد له متكأ إلا عند النساء حتى إذا بح صوته وتعكر صفاؤه أخرجه الرجال محتفين به.

إحدى تلك الرسائل قادتها لمعرفة السبب حين أشار أحدهم إليها في تعليقه على الصحافي شاكرا (جزاك الله خيرا يا أستاذ خالد على نشر هذه المقالات المفيدة).

شعرت بسعادة لم تمني نفسها بها، طارت بها إلى عالم من الأماني والأحلام، وربما الشهرة التي لم تخطط لها، لكنها حتما ستمهد لظهور مقالاتها على نطاق الاحتفاء.

ازدحمت الأفكار في رأسها وكل فكرة تبني لها طريق النجاح وتدها عليه، تخيلت كيف سيكون صدى كلماتها بعد الآن، وكم من التعليقات ستمطر مقالاتها، وعن حجم التفاعل الذي سينهض بأدائها، وستكون من أولئك الذين لا يتسنى لهم الوقت لإظهار

الحفاوة بكل ذلك، ربما تطلبها المواقع والصحف ويعرض عليها مبلغا ماديا لقاء قبولها، حينها لن تقبل أي عرض وسيكون لها شروطها الخاصة، ابتسمت لهذه الخاطرة كما لو تحققت، فكيف لو تحققت؟

قفزت إلى ذهنها صورا تتضمن اسمها نهاد المطوع الذي سيتردد في كل مكان، عندها تساءلت متى ستعلن اسمها الحقيقي؟ وعلى كل حال، لن تستمر على هذا اللقب إلى الأبد.

هذا التفكير اللذيذ منحها بعض النشاط، نقلها من الجلوس إلى المشي البطيء المثقل بالتفكير، ثم جلست أخيرا إلى مكتبها وأمسكت بقلم، سحبت دفترا من ذوق الورقة الكبيرة ونزعت منه واحدة لأن العمل الآن يجب أن يخرج ولا يتوارى بين دفتي كتاب، يحجبه عن الرؤيا غلاف.

رسمت خطة لسيورها، فإن كانت قد نجحت في السابق دون تخطيط فستنجح أكثر في المستقبل إن صحبها ذلك، لذلك أربكت دماغها بالتفكير بحثا عن كل موضوع يستحق النشر كمقال مما يدخل حيز اهتمامها تحت سلسلة (مذكرة تفاهم).

في السابق كانت تنشر مقالاتها دون أن يقلقها من سيقراً؟ لكن، بعد هذا الانتشار لمقالها الأخير، شعرت بارتباك وكأنها تخشى خيبة أمل القراء من مستوى قلمها، الأمر الذي لم تعره اهتماما في السابق.

مذكرة تفاهم

النجاح لا يعني النهاية، بل المزيد من العمل بتحقيق الأفضل، إنه استدراج لمرحلة يكون فيها عطاؤك مدروسا، حينها تدرك أن عليك أن تبذل المزيد، لا لتحافظ على مستواك، بل لترتفع وترفع به مستوى الآخرين.



الفصل التاسع عشر: المقال (7) رائحة حسب النية

عندما تنكر على الآخرين تصرفاتهم الخاطئة، فغالبهم يرى في ذلك اعتداء على حريته الشخصية، وتخط حدود الأدب والذوق. عند بعض، أنت جيد ما مدت تمارس أفكارك في حيزك الخاص، لكن، تصرفاتك هذه ستكون محل دراسة ونقد الآخرين، خاصة إن كان مرجعك فيها فطرتك السليمة. وكلما بعد مصدر أفكارك وسلوكياتك عنك وعن مجتمعك وكل ما يتصل بك، حظيت على قبول أكبر ومكانة أفضل.

هل هذا إعلان صارخ لتفوق الآخرين علينا بلا شروط؟ عندما ترتدي إحداهن لباسا بمقاييس ترجع فيه إلى اختياراتها الحرة المعتمدة على مصادر لا ترتبط وسوق الجديد برابط عدا الصدفة، فهل تحظى -إخلاصا للفكرة أم إخلاصا للصدفة- بلمعان العيون إعجاباً وارتخاء الشفاه ذهولاً!

بل أكثر من ذلك، فلو اتفق ذوقها مع الموضة فلن تتقدم شبرا في مقياس احترامهم، لأن هذا كان من قبيل الصدفة. وأرجو ألا يأتي

مذكرة تفاهم

ذلك اليوم الذي نحاسب فيه على سبب استخدامنا للعطر. فإن كنت تتعطر لأن هذا هو الأسلوب العصري عند الظهور للآخرين فهذا جيد، أما إن كنت تفعل ذلك لتبدو منك رائحة طيبة فلا معنى لهذه الرائحة.



الفصل العشرون: إلى أجل

وكإلف يومي تقوم به مما تعتقد أنه واجب بعد الشهرة الصغيرة التي حققتها مقالاتها، والتي جعلت القراء يبحثون عن مقالاتها السابقة لقراءتها والتعليق عليها بصرف النظر عن نوعيتها، فالحياة على كل حال لا تخلو من مؤيد ومخالف.

تخصص وقتنا للاطلاع عليها وأحيانا الرد حسب ما يقتضيه الحال. أعدت كوبا من الشاي الأحمر ثم فتحت الجهاز، انتظرت تحميل الصفحة، وأخيرا صفحة مقالها الأخير بدأت بالتحميل، تذوقت القليل من الشاي، وجدت أنها بحاجة إلى المزيد من السكر، غادرت مكانها ثم عادت بعد أن تناولت رشقات من مشروبها، عبرت بها عن رضاها ومذاقها.

تعلق بصرها بشاشة الجهاز بينما تقف على بعد مسافة منها، استغربت أن يستغرق فتح الصفحة كل هذا الوقت، أنعمت النظر بينما تقترب ببطء مداراة للمشروب الساخن الذي بين يديها، حينها لاحظت أن الصفحة لا تبدو كالمعتاد، ثمة رسالة إدارية تصدرت الشاشة، أزاحت الكرسي بعصبية لتتمكن من الجلوس، ثم جلست

وقد اكتفت بأن قربت رأسها من الجهاز دون أن تسحب الكرسي إلى الأمام، قرأت (الغطاء الأسود): لا تملك التصريح بدخول هذه الصفحة، قد يكون هذا أحد الأسباب التالية: (.....)، أدارت بصرها على الأسباب دون أن تجد ما قد يكون شرحاً لأسباب حجبتها حتى وصلت إلى ذيل الرسالة التي ذكر فيها: (للمزيد يرجى مراسلة الإدارة)، هنا لم تكن هذه الرسالة كالتي تظهر عادة عند الخطأ في كتابة اسم المستخدم أو كلمة المرور، فليس في الرسالة ذكر أو تنبيه عنهما، وقد ذكر اسمها العملي في الموقع.

خامرها بعض القلق، حاولت أن تفكر في احتمالات سعيدة. أحيانا من السهل الوصول إلى الحقيقة، لكن جراءتنا أقل من أن تقحمنا دون تمهيد، وهذا التمهيد هو سبيل التوقعات التي تأخذنا إلى كل جانب، وقد تتجاوز بنا الواقع وقد تقصر عنه.

لذلك آثرت أن تكمل احتساء الشاي بتأن مفرط وعيناها لا تفارقان (هنا)، تناقص السائل الأحمر حتى لم يتبق في قعر الكوب إلا عروق أثره، فوضعتة وأزاحتة قليلا، وكأنها تتوقع حدوث أمر قد يؤدي به فيما لو كان قريبا من مرمى يدها.

----- ميمونة الدخيل -----

نقرت (هنا) وهي تنقر على قلبها نقرات خفيفة متتالية، ظهرت لها صفحة جديدة تحوي خانة فارغة، وعليها أن تملأها سخطاً. لكنها كتبت (إلى السادة الكرام/إدارة النادي الأدبي).

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أود الاستفسار عن سبب التوقيف غير المبرر!.

(تقبلوا تحياتي/الغطاء الأسود) ثم نقرت «إرسال».



الفصل الواحد والعشرون: عناوين متفقة

حالة من العصبية وفقدان الرغبة في كل شيء، لأن كل شيء بلا معنى يتنافس به، فهو كمومياء لا تصنع إلا تقديس الماضي وليس لها في الحاضر إلا الذكرى، فهي في حالة من الإهمال ولا تحظى باهتمام إلا عند من يفر من الآن إلى ما كان. أما الذي يرى في الفرار ذلا وعارا لا يفارق لحظاته وكأنه في نزال معها ليربح مستقبله وإن كان هذا المستقبل لا يملك من الواجهة ما يصدر به نفسه، وهو لا يستقبل ولا يدير لك ظهره، بل يترك لك خيار الرغبة الملحة والإرادة المحضة لتتقدم إليه بمشيئتك.

وهكذا يصب الحرمان والإقصاء معانيه على قلبها، حين وجدت قلمها مرفوضا ورأيها منبوذا وذلك فقط لأن أحدهم يعتقد عدم أهليتهما، ثم لا تتاح لها فرصة للتحامي عنهما.

كان ذلك عندما تلقت الرد الإداري الذي وردها من الموقع مبرا حجبها بالمقال الذي نشرته قبل مدة ويحمل عنوان: (هل يكون الصيني أمريكيا؟)، لأنه مقال لا يتناسب مع توجهات الموقع!

ازدرت ذلك الرد ولهجته، فهم يساومون العقل على منطقته وحرية، ويقىمون عقولهم مقام القاضي في محكمة لا تستند إلى دستور ينطق

----- ميمونة الدّخيل -----

بدين أو عرف. كلُّ متهم عنده هو كذلك لأنه غير سائق له، وليس للسوغ من عدمه مبررات أو دواع ولا أدلة أو براهين تصوبه أو تخطئه.

أمسكت القلم، فهو وإن كان متهما فهو المحامي الذي تزعم أنها ستدافع به عن حقها، سجلت، الأقلام المكسورة، حرية الرأي، من صادر قلبي، العنصرية الفكرية.



الفصل الثاني والعشرون: الفراغ

حتى بعد مرور عدة أسابيع، ما زالت تصارع تلك المشاعر الكريهة التي فاض بها الحرمان، وبعد مرور هذه المدة تجهل تماما كم تبقى لتحصل على العفو الصحفي.

فكرت في الكتابة في مواقع أخرى، لكنها مصممة على توديع ذلك الموقع بمقال لاذع.

أصابها الفتور حتى في أحاسيسها، كانت كمن فقد عزيزا تجهل ماهيته على وجه الدقة، لكن، الأكيد أنه مجموعة أشياء تضم كلمة، وقلم، وحرية، ومنبر، ونقطة تواصل.

حتى متعة التفكير في مقال جديد لم تشعر بها إلا الآن بعد أن ترك فراغا ذهنيا لم يملأه إلا ترقب فرصة جديدة.



الفصل الثالث والعشرون: المقال (8)

حنين

كل الأعوام السالفة، كل الشهور الماضية والأيام المنصرمة بدقائقها ولحظاتها قد قصرت عن إدراك معان تضمنتها ذاتي، وعن الكشف عن مكامن شخصيتي واهتماماتي، كنت شخصا أقل جرأة من أن يعلن عن آرائه وأقل ذكاء من أن يعبر عنها، كنت كالهائم على وجهه يرجو ويتمنى ولا يهتدي إلى طريق. ربما عرف الطريق الأصعب الذي يعجز عن سلوكه حتى أمسكت بك!

وأنا ممتنة للبداية التافهة التي أقلقت فكري فانسكب وحركت قلبي فكتب، حينها بانتم معالم نفسي، فرأيتها وعلمت ماذا تريد وكيف تفعل.

قد تتوارى اللطائف وتنزوي تبرما حين لا نوليها عناية، تقرر أن تحتجب وتغادر لتكشف مساحة فراغها، ترحل بجدوء فتعصف مشاعرنا جزعا، فيصنع اللاشيء ثورة يحتل بها هذا الفراغ. قلبي كنت وستبقى صوتي الذي أهتف به، ومنبري الذي أعلو به،

مذكرة تفاهم

وجوازي إلى العالم الذي أصله مرغما عن أبوابه المؤصدة في وجه
أفكاري التي لا تتفق معه.



الفصل الرابع والعشرون: مسار آخر

بينما تحتق بيد الساعات الطويلة، تقلب فكرها في الفراغ، يمر قلمها عابثا بوريقات بيضاء ساكنة ككفن لا عمل له إلا الالتفاف حول الجثث، وهذا القلم الذي يرسم مسارات لا معنى لها وكأنه يحلل الجثة الكائنة في مخيلتها إلى كلمات ويصنع لها طريقا ليقذفها على الورق فتلقفها وتكتنفها، فهي الأولى بها.

طرقات متأنية على الباب أخرجتها من الغفلة التي كانت تستأنس بها، لم ترغب في فتح الباب، فسألت بضجر: من؟ أتاها صوت والدتها مجيبا، توقعت أن تطلب منها الخروج ومغادرة القوقعة كما يجلو لها أن تصف غرف النوم، لكنها قالت: افتحي الباب، سأدخل.

تحركت من مكانها وهي تحاول أن تجعل خطواتها أسرع قليلا، فتعثرت وكادت أن تسقط لولا أنها استندت إلى مقبض الباب الذي صار في متناول يدها، لكن، هذا لم يمنع تفاقم شعورها بالضجر وجعل نبضات قلبها تتسارع إرهاقا.

فتحت الباب أخيرا في اللحظة التي صاحت فيها والدتها: نهاد... فبترت جملتها فجأة والتي - لا يخفى للناظر إلى وجه الوالدة أنها - تتضمن شتيمة لولا أن برزت لها هيئة نهاد فتكفلت بها.

دلقت على عجل، اختارت أول مقعد وألقت ثقلها عليه، ثم سألت: ماذا بك؟ هل تمارسين الرياضة؟

ردت بسخرية: نعم، رياضة السقوط.

لكن والدتها لم ترغب بالدخول في هذا الحوار، وكتوتنة لموضوعها الذي جاءت من أجله، ألقت نظرة طويلة مقلقة، ولم يبد أن نهاد قادرة على تشيبتها.

ختمت صمتها وتحدثت بنبرة تحمل مفاجأة: انخطبت. علقت نهاد باستنكار: محمد توظف!

- الحين محمد؟! -

ردت موضحة تواري حرجها: ما توقعتمك توافقون على غيره؟! أجابت بلهجة لا مبالية: الظاهر أن محمد مطول ولا ودنا نأخره، مصلحتك أهم.

تخلل وجه نهاد وتسَللت ابتسامة صغيرة على شفثيها لم تسع لردھا ورمبا لم تشعر بها، لكنها، لاذت بالصمت كما يجب أن تفعل وفق النظام المتبع في هذه الحالة.

وكحيلة اتبعثها الوالدة لتغريها بالموافقة السريعة، قالت بتأن مقصود: يؤمن بأفكارك... وانتظرت قليلا لترى رد الفعل الذي سيشي غالبا بالقرار قبل أن تسرد بقية المواصفات بلا اهتمام كبير.

وكما يحدث عادة في أي زواج تقليدي، يتم التكنم عليه إلى حين انتهاء الإجراءات الأولية، مصحوبا بالكثير من القلق والترقب الحموم.

كانت المرحلة الأساس التي لا يمكن تجاهلها، مرحلة السؤال والتقصي عن هذا الخاطب، ولأن نهاد تدرك ذلك، لم يرق لها أن تحافظ على عزلتها التي استأنست بها فيما سبق لها من أيام، لكنها الآن، تتربص وتصفى ذهنها وترهف سمعها لعل هناك ما يكشف المجهول الذي وإن كانت تخشاه لن يثنيها عن الدخول في مغامرة تعلم يقينا أن طريق العودة منها شاق، خانق.

يطمئننها أحيانا حديث مثل ذلك الذي بدأه أخوها نايف بعفوية، وإن كان أخفق في ضبط نهايته، بينما تنهمك والدته في ترتيب سفرة الطعام، حينها كانت نهاد تتجه إليها بصينية مليئة بالكؤوس قبل أن

تنضم للمساعدة، فتوقفت عندما تنامي إلى سمعها ذلك الحوار،
فآثرت أن تمنح أخواها الفرصة ليبت ما في سره دون خجل منها: والله
الرجال مستقيم يصلح لنهاد، يبعجبها ثوبه قصير ولحيته طويلة،
وشكله مو حلو.

قال الجملة الأخيرة مع الجملة السابقة في سياق واحد، وكأنه يجدها
صفات ذات نمط مشترك، وأن كل صفة تأتي بأشباهاها دون فصل
بينها.

توتر ثباتها ومالت قليلا حتى كادت أن تصطدم بالباب ويفتضح
وجودها، وبصعوبة استطاعت استعادة توازنها، لكن الثقل بين يديها
قد أثر عليها فاضطرت أن تلجأ إلى أقرب طاولة لتخلص منه، آسفة
على الحوار الذي سيفوتها بعد أن وصل إلى حيث يجب أن تنصت
فتكون جديرة بما وصلت إليه أن تصب عقلها ليقضي: سيكون أو لا
يكون.

لولا أنها تفاجأت بضحكات والدتها تصل بوضوح، ثم الحوار الذي
أعقبها حتى كادت تتيقن أنهما تعمدتا رفع صوتيهما لئلا تفوتها فرصة
الاستماع.

-شكله مو حلو، ما أظنه يعجبها.

----- ميمونة الدخيل -----

علق نايف بعبارة يعلم من يسمعها أنها كلمات يرددها حفظا دون أن يعيها: أهم شيء الأخلاق.

-ولا تنس نصيبك من الدنيا، عيالنا نبيهم حلوين.

وربما قدر حوارهما أن يلطف بعد خشونة ويرفق بعد غلظة، حين وصلا به إلى أن لكل عين نظرة.



الفصل الثالث والعشرون: جديد

كانت قد انقضت نصف ساعة من انتهاء صلاة المغرب، الوقت الذي يقضيه والد نهاد عادة عند والديه. لكن الآن، يدخل منزله مسرعا ويتجه لأم نايف، لم يتوقف ليقول شيئا، بل أشار بيده إشارة الاستدعاء، وأكمل طريقه دون أن يومئ بتحيةة أو يمنح بعض الاهتمام لوجود نهاد المقابلة لأمها في الجهة الأخرى من المجلس، حتى بعد أن صدر صوتا جريا حركتها المضطربة.

لا يضطر أحدهم للجوء إلى كتاب في لغة الجسد ليتمكن من إصدار حكم نفسي على أي نايف، يكفي أنه خالف كل عاداته. كما لم تحتاج نهاد إلى المزيد من الإشارات لتدرك أن ثمة خطب ما وهو يخصصها في المقام الأول.

حتى بعد أن عادت والدتها التي حافظت على هدوء ملامحها وحركة عينها، ولتضفي على هيئتها مزيدا من اللامبالاة، اتجهت إلى حافظة الشاي وسكبت حتى امتلأ كأسها الصغير، ثم عادت إلى مكانها الذي غادرته بعض الوقت، ولم تظهر أي رغبة في الحديث إلى أن فارقت كأسها آخر رشفة من الشاي.

طار بصرها إلى نهاد يحمل نظرات ذات مغزى، وأفرغت اهتمامها عليها رغبة في نيل رد فعل مماثل، غير أن نهاد لم تملك أن تغفل عنها ساعة.

أخفت في إحراز مقدمة مناسبة، فأفسد بذلك استهلالها، فقالت وكأنها تمج الكلمات من فمها: أبوك سأل عن الرجال، ثم صممت لتكون مقدمتها المقدمة الأكثر رعبا في العالم. استأنفت حديثها بتأن وهي تأمل أن يتيح ذلك لدماع فتاتها -المضطرب يقينا- فهمها. -الرجال مستقيم مثل ما تعرفين، -انتظرت ما لا تعرف- وما يرضى بالتلفزيون، ولا أنت في بيته.

انتصب رأس نهاد بعد أن كان يتدلى خجلا، وبحركة مفاجئة مطت رقبتها إلى الأمام، وأسندت يدها اليسرى إلى خصرها، بينما التهت اليمنى بكأس الشاي، فلم تحذو حذوها، وقالت: نعم!

ثم لوحت بيدها الحرة كما لو أنها تطرد الهواء من حولها، وقالت تشجب: واحنا مستقيمين وصالحين.

-اللي سمعته، (قالت والدتها باستسلام).

لم تعلق ولم تجد أن الموقف يستحق الاحترام بالنظر فيه، حتى بعد أن سألتها والدتها مستفسرة: ما رأيك؟

مذكرة تفاهم

فارقت والدتها بالسكوت، مخالفة الرأي القائل بأن السكوت علامة
الرضا.



الفصل الرابع والعشرون: حنين آخر

الأمل الذي يخون، الخيبة التي لا تندم، رحلة الانتظار التي تتوقف عند محطة ترحب بأحلامنا وتطلعاتنا لتملاً بها شاغر مقابرنا؛ كل المشاعر الحشنة التي تنتظم لتنفجر بعنف وبربريه في داخلنا. قوية هي الحياة، جريء هو الواقع ليصنع ثغراً يخطف منه أرواح الأحلام فلا يبقى منها إلا صورة تحتزنها الحسرة للذكرى. وكأن الكتابة هي المأوى الذي نطمئن عند هروبها إليه على آملها وأحلامها، فيحفظها لها من سهوة الزمن وغفلته وهو الذي تحامل هموم القلوب وعلل النفس واتسع لها لثلا نضيق بها. استحالت والتنفس مترادفتان، ربما من سجن لا تثقبه نافذة ومن حزن لا تعقبه عافية.

في الحقيقة «لابد من مغالطة تجري لينتفع الإنسان بعيشه» كما يقول ابن الجوزي، يطمئنها أن تقرأ مثل هذا، فالدواء أحياناً حروف. احتضنت القلم بأصابعها وفردت الصفحات أمامها. شعرت بالحنين، لأي شيء؟ لا تعلم.

مذكرة تفاهم

قد يكون لتلك الليالي الهادئة التي لم يشملها حلم زائف أو تلك
الأيام السالفة حين سمت بها عن أنا الصغيرة إلى نحن العظيمة.



الفصل الخامس والعشرون: خاطرة

لن يكون كل الناس صالحين لمجرد إيمانهم بذلك، يجب أن تكون صالحاً، لكن، لا يجب أن يتحقق ذلك بمفهومك الخاص، فليس من المعقول أنك الوحيد والفريد الذي ألهم اكتشاف الحقيقة كما تراها. ألا يكفي أن العالم الذي شهد نشأتك وأرضع جاهليتك، وسقاها، ثم وقف أمامك، وجرى خلفك، ودنا منك ليصنع فيك ولك بذوره لتنمو في رعايتك، فإذا هي تبور وإذا بك تتهم صلاحها! هذا العالم استطاع أن يمضي قبل أن توجد أنت.

لن يؤمن العالم بأفكارك ما دمت في معزل عنه، وتعتقد أن السبيل الأوحده لصيانة إيمانك أن تبني له بيتاً طينياً يحتمي به من كل ما يهدد ثباته.

سلوكك المشوه الذي يترافق وصورتك الصالحة لن تملك أن تتدع بما العقلاء، هم فقط سيدركون أن ثمة منحرفين يرتدون القيم بقناعة.



الفصل السادس والعشرون: العودة

الإحباطات المتتالية تجعل الإنسان صيدا سهلا للانطواء ثم الاكتئاب ما لم يجد حبلا ينشر عليه مشاكله ليجف ماء حزنه ويتبخر. الآن، وبعد ثلاثة أشهر انقضت من إيقافها عن النشر في الموقع، شعرت بحاجة تلج في فؤاها لأن تتخطى كلماتها صفحات الورق إلى صفحات الشبكة العنكبوتية.

ساقها الحنين لتلوي عنايتها ظهرها أمام خيبتها السابقة ثم ترتمي أمام الجهاز، تنتقل بين أزراره لتصل إلى صفحة الموقع دون عناء، وكأنها قريبة عهد به.

عند هذه اللحظة سرت في يدها رعشة صغيرة خفق لها قلبها قبل أن تدخل اسم المستخدم الخاص بها والرقم السري، توقفت هنية لتعد نفسها لجميع الاحتمالات ثم استأنفت فنقرت «موافق». حدثت نفسها أن هذا ليس حقيقيا، وعلى السجية في كل المفاجآت العينية التي يصعب تصديقها، رمشت عينها بشدة في محاولة لتخفيف وقع المفاجأة أو لعلها تختفي إن كانت من غبش الخيال. وأخيرا صاحت: (شكرا)، بينما تغطي وجهها بكلتا يديها: الشكر

لله. كأن الحياة تبر قسمها في أنما لن تبقى ولن تُبقي على حال، هذا
القسم الذي بمقدار ما يحزن يفرح، وبالقدر نفسه إما أن يمني له أو
به.

وهي الآن تبرئ قسمها، فتلك الإدارة التي بجستها حقها وأقصتها،
ها هي ترحل فيعقبها من يقر لها به مستغفرا عن زلات السابقين
وهفواتهم.

غفرت للماضي وأسفرت عن فكرها وأقبلت تكتب.



الفصل السابع والعشرون: المقال (9) الجنة والنار

ليس لنا الخوض في القرارات السماوية، ولا يليق بنا أن نتكل على سماوية القرار لنسمح لأنفسنا اجتراح السيئات، لأن من نتعامل معه لا بد ويصدر عفواً بحقنا. كما أنك لن تغفر لأحدهم إن أغضى عن حقوقك متعللاً بسعة صدرك وسماحة نفسك.

وما نؤمن به جميعاً أننا سننظر بعين واحدة ونحكم بعقل واحد في حق من يدعو إلى ممارسة الرذيلة وسقي الماء، أو معاقرة الجريمة وإطعام الفقراء. وأن الأخير ليس العلاج الموصوف ولا الكفارة المعينة للأول.

لا يمكن مؤسسة -بل أصغر- في أي مجال جرى اختصاصها أن تنجح بلا دستور تعينه لموظفيها يسرون وفقه، لأن لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص، ومؤسسة الحياة الأولى والآخرة هل هي مهملة بلا قانون يحكم كل أحيائها ذكورها وإناثها؟.

وإن كانت العقول البشرية تعاني الاختلاف في حكمها قبل أن تكون، وبعد أن كانت، وفي كل ظرف وحال وليل ونهار! فعلى أي عقل تتفق البشرية أن تأخذ؟

----- ميمونة الدخيل -----

وعلى هذا، فالبشرية مضطرة اضطرارا لفرض دستور لا يعتمد على
عضو من أعضائها المتخلخلة، ولأنه لا يوجد ولن يوجد خلاف هذا
العضو! فمتى نعيد النظر!؟



الفصل الثامن والعشرون: الوظيفة

قد يكونا متشابهان في أقدارهما، لتحمل كل منهما في الوقت نفسه مفاجأة سارة كانا ينتظرانها إلى حد الحزن.

في بيت خالتها أم محمد كانت الفرحة عارمة كما يحلو لمحمد أن يصفها وهو يتحدث عن مناسبة حصوله على وظيفة، دون أن يشير إلى نفسه بشكل خاص، ليبقى في مأمن من الوخزات البصرية التي تحمل معنى (نعرف سر سعادتك الحقيقية). مع ذلك لم ينبج من تلميحات أخته التي صرحت: فرحتك أكبر من المناسبة، ما في كسول يحب العمل.

رد مستنكرا دون رغبة في الدخول في حوار عامي ليتجاوزها سريعا: العمل ليس خيارا. لكنه، تجاوزها ليصطدم بتصريح آخر من والدته: فرحان عشان الوظيفة ولا؟! قالت ذلك وإحدى حاجباها مرتفع بشكل مقلق.



الفصل التاسع والعشرون: الخطوبة

قد لا يكون محمد فرصة يجب اقتناصها، لكنه، ليس بالسوء الذي يدعوها للتفريط به، وهكذا وافقت نهاد على قبوله زوجها لها أمام تأكيدات من حولها التي تفتح بابا للشك أكثر من أن تغلقه، وبالذات ما تردده أخته مرارا: أنت مخلوقة له.

انتهت مراسيم الخطوبة وعقد القرآن بكل ما يتضمنه من خوف وقلق وترقب، وربما غمرة فرح صاخبة.

الحياة بهدوئها وإيقاعها المتأني تعود من جديد وكأنها تتيح فرصة الاكتشاف لمن يحتاجها، تمنحهم الحق في إعادة النظر في قراراتهم، في مصيرهم، تساعدهم ليتحركوا إلى الجانب الثاني حيث الموقف بوجهه الآخر، وقد تفاجئهم بالبعد الفاصل بين رأيهم الأول والتالي. هي تحيا بفكر وتعتقد أنها تعيش لهدف ربما لا يأبه به كثيرون، وهذا لا يساعدها، لذلك هي بحاجة إلى شريك يأزرها لتقوى به، لتمضي به. هو يجبها ويقسم أنه لن يأذن للمستحيل أن يقف أمامها استجابة لقلبه، وعلى كل حال هو لا يخالفها الطريق، وإن لم يسلكه بعد.



الفصل التاسع والعشرون: الجوع

ولأن مدة الخطوبة ستطول، تبعا لقدرته على جمع ما يمكن به تأسيس الأسرة، لذلك وبعد مرور عدة أشهر من اللقاءات المنزلية اللطيفة التي تخفي أكثر مما تبدي، سألها الخروج معه، تمت أن تملك الشجاعة لترفض، لا لشيء إلا للمقال الذي استطاع أخيرا أن يستنهض الملكة الكتابية لتستجيب لفكرته، فكتبت منه أسطرا قليلة، ولئلا تفقد ترتيب أفكارها، دونت نقاط سريعة، وخرجت.

وصلا إلى مطعم يروم له مدعي الكرم، لأنه يأخذ أكثر مما يعطي، يمكنه أن يستنزف ما يقارب راتبه الشهري، لكن، ما يخفف وطأة الفراق هو ما تستلزمه ظروف المرحلة، فلا بد أن يثبت قدرته المادية وسخائه، وأنه (ما يهمني شيء، أهم شيء يعجبك)، كما برر استنكارها كثرة ما طلب من الأطباق.

ذلك الهدوء الممل كان ثالثهما، جثم على لقائهما، تشاغلت بالحوال تقلبه بلا هدف دون أن تجرأ على فتحه، بينما يفعل ذلك متظاهرا باستغراقه بالتصفح، وفي الحقيقة يفتح على الملاحظات التي حفظ فيها بعض كلمات الحب والغزل التي لم يطق النطق بها من قبل.

يحتلس النظر إليها ثم يخفض بصره إلى شاشة الجوال بين يديه، يعاود الكرة، لكنه لا ينجح، يشعر بالضيق وربما الضعف، ثم يعود بجسده ليلتحم ظهره بظهر الكرسي، ويسترخي قليلا، ثم يرفع الجوال إلى مستوى بصره ويقراً العبارات بشفتيه ويقرر أنها المحاولة الأخيرة إن لم تنجح فسيستسلم حالا، فقد استهلك ذلك جهده النفسي، ما أفقده حيويته ومرحه.

ولأن الجو الشعري يتضمن التقارب الجسدي، لذلك يتقدم بجسده إلى الأمام مستندا إلى الطاولة بكلتا يديه، وفي خطوة عاطفية مد يده اليمنى لتلامس يدها الممسكة عبثا بعلبة الفلفل الأسود، لكن قشعيرية سررت في جسده فاضطربت لها يده فهوت على نحو طفولي على علبة الملح، فلم تثبت بل هوت، وقبل أن تصل إلى الأرض كان قد التقطها.

هذا ما ينقصه ليشعر أخيرا أنه مرهق حقا.

حضرت الأطباق، واصطفت بشكل دعاها للغثيان من ازدحامها، وكأنها تندافع في حلقتها. فشلا في تناول الطعام كما يحدث لمن هما في مثل شأنهما.

ضاعف انزعاجها ذلك الصمت المطبق الذي تنازلت من أجله عن الفراغ من شغلها، الصمت الذي لم تعتده، بل توقعت أن مغادرة

المنزل ستتيح له مساحة وقدرة أكبر على الحديث، والآن تشعر أن هناك خطب ما وهي تؤمن أن السكون لا يحمل أبناء سارة في الغالب.

ربما أراد أن يبثها أمرا مما يخص حياتهما معا ولم يجروا، قد يكون أمرا يصعب عليه تقبله، ولهذا السبب هو متردد!

أما هو، فقد كانت عيناه أجراً من لسانه، وحين رجا أن تبادله النظرات، فعلت ذلك فاضطرب.

تساءل، لم هذا الشعور؟! ربما أحبها حقاً، لكن هذا الاضطراب! يشعر بأنه تافه حيالها، وثمة هيبة تتلبسها، وهو حين ينظر إليها لا يجد الزوجة الشريكة، بل امرأة تكبر ذلك. قد يكون نتيجة لقاءهما الأخير عندما راح يسألها أسئلة فكرية عقائدية وأخلاقية في خطوة تأكيدية لعنايته باهتماماتها، كانت تجيب بما تعرف وتسترسل وتسهب، وقد تقول: أكثر مما يفهم.

وانتهى اللقاء الذي يفوز بأفضل محتوى في الجوع.



الفصل الثلاثون: انطباع

بعد التجربة الكاسدة لخروجهم لأول مرة معا، قرر أن يخوض تجربة أخرى قد تساعده ليظهر بمظهر أكثر رجولة وعشقا. في زيارته الأخيرة وقبل أن يخرج، قال بنبرة أودعها كل أشواقه ما استطاع: سنخرج غدا إلى المطعم، هل يناسبك؟

تراجعت قليلا إلى الوراء لتسمح لأكبر قدر من الفراغ أن يحتل المسافة بينهما، لعل هذا الفاصل هو السفير لما يحتتم عليها الذوق عدم الجهر به للتملص من اللقاءات الخارجية التي ترغمها على الانتصاب أمامه كتمثال مقدس، تجربتها الأولى لا تتمتع بما يغري لتكرارها، ومع أن سؤاله لا يبدو أنه يحمل خيارات غير أرغب أو أرغب بشده، لكنها، استغلت الفرصة، وقالت بانكسار يغطي رغبتها الحقيقية: اهم، ودي بس بشوف ظروفى وأرد عليك!

تردد في الرد، يحاول أن يوازن ما يريد قوله، أراد أن يصرخ، أن يرحوها أن تمنحه الفرصة ليصحح خطأه ليثبت لها أنه ليس بالشاب المشغول بجواله في حضور خطيبته وحبيبته، لكن، هيبتها التي تبرز ضعفه أمام نفسه جعلته يكتفي بأن يقول: بيننا اتصال.

في اليوم التالي شعرت بالراحة حينما أخبرته أنها متعبة ولا تستطيع مرافقته بهذا الحال، ورجته بأن يعدها بيوم آخر.

وفي كل الأحوال سيضطر إلى الإذعان لها والتخلي عن فكرة الخروج مطلقاً.



الفصل الواحد والثلاثون: مقال (10)

استروح مزارع زهرة جميلة الشكل بديعة الألوان، لكنه، بهت من رائحتها، وعقابا لها على خداعها له، عراها من بتلاتها لتنفق بشاعة رائحتها ببشاعة مظهرها. وليعالج مشكلة هذا النوع من الزهرات المخادعة، ويحافظ على مكانة الزهرة الجميلة ذات الرائحة الطيبة عند الآخرين؛ قرر أن يصنع دواءً يمنع نمو بتلاتها بشكل طبيعي، فتبدو أقل عددا وحجما.

لكن مزارعا آخر سأله: لماذا لا تصنع دواء يحسن رائحة الزهور؟ هذه ليست قصة طريفة، بل حقيقة.

هل من الجائز والمعقول أن نطالب سيء الأخلاق أن يتخلع أمام الناس تشهيرا بحقيقته وفضحا لقبح طويته! ولا يعيننا أن نشير لعذب اللسان جميل الإحسان إلى قبح هيئته و عري سواته!

إن المظهر والمخبر يتمتعان بالأهمية نفسها، وكلاهما مما يجدر الالتزام به والسعي لاكتسابه.

وهذه قصة أخرى، لفقير يمتلك جوهرة ثمينة، فلم يبعها ويستفد من ثمنها فيخلص من علته، ولم يفعل إلا أن فخر بجيازتها، فهو فقير أبداً،

وهو كمن لا يفتأ يذكر إيمانه في قلبه، يباهي به عند من يسأله عنه،
لأنه إيمان يروى ولا يرى، فلم يفعل إلا أن واره وخبأه، فهو في
الظلام أبداً.



الفصل الواحد والثلاثون: قرار

إن آلام البشر كلها كتاب عنوانه: الوداع، كما يقول الأديب علي الطنطاوي. رضخ للبعد مسافة عشرين يوماً، ولم يقوَ قلبه على سياط التفكير، لا بد أن يقرر. حدث نفسه بأن هذا يحدث كثيراً، بأن يخذع القلب صاحبه ويستعير مشاعرا ليست له فيصدقها ويطمئن إليها وبها، وكأنها من صنع أفكاره ونتائجها، وما هي إلا ظل الأفكار، إنها الخيال والوهم الذي يمتد ويقصر تبعاً لعواطفه. حرك رأسه بشده، عله يطرد الخاطرة، ثم نهرها بصوت مسموع: أنا أحبها حقاً.

عاد ذاك الصوت الذي تعلق بقلبه يهمس همساً مروعاً، حديث العقل، وإذا به يضع خاتمة لقصة حب مضطربة الأركان: الحب لا يكفي، لا بد من التوافق. الآن، وبعد كل الماضي، لم يشتم حبه الذي عذبه، ولا غبائه الذي كبّله، والدنيا التي يتلذذ بمعايرتها بتقلباتها، لم ينل منها، صمت كمستسلم لأمر لا يملك حياله رأياً. تمنى لو يبكي، أن يصف شعوره دمعا يجري، لكن، من ماذا؟ ولمن؟

هل كان هذا من فعل الخيبة عندما اصطدم بما فجأة بدون إنذار لوجودها «انتبه هناك خيبة في الطريق»، مع هذا هل كان سيمثل؟ لن يصمد؟ لن يتحدى؟ لن يعبر؟

خلق الإنسان ليفعل ويندم، ليعود من الطريق الذي اختار أن يقطع، ليهدم عملاً اعتقد أنه لا بد أن يقف، لا بد أن يرى، لا بد أن يصدع للحقيقة ويزيل أثراً كان قد حاول أن يجعله أعمق.

هذا الإنسان الذي ظن يوماً أنه باخترع القوانين البشرية يستطيع أن ينال مطالبه التي لم يخضع لها القدر أبداً، هذه المطالب التي تنمو وتتضخم كورم سرطاني في جسد هزيل، يحدثانه غضبه ويأسه أن يصرخ بالمطالب لعلها تندلق من لسانه وتجري أمامه تهيأ له المستقبل المبعثر بفعل الماضي. يده الشهواء تتخذ طولاً يمتد ليتجاوز التابوت الذي يحبس رفاتة، ولم يعد هناك سوى بقايا روح تنتفض منها يده؛ فترتطم لتصفع أبناءها من الزمن التالي. الذين وُلدوا بموت والدهم، الله يعلم هل تصفعهم لتحذرهم من طريقها أم لتوصيهم ألا يجيدوا عنه؟ والله وحده يعلم هل هؤلاء الأبناء بررة أم عاقين؟ لكن، المؤكد أن ذلك المستقبل هو صنعة ذاك الماضي.



الفصل الثاني والثلاثون: زفاف

تنتهي مرحلة لتبدأ أخرى، المستقبل نادرا ما ينبئ صاحبه عن نفسه، لا يمكننا المراهنة على أحداثه، بعض شفراته مزيفة وبعضها قد يقود إلى لا شيء، ومقدورنا تحمل النتيجة ما دمنا خلقنا لها، لكن العقلاء يتعوذون بالله كل يوم من زوال النعمة وتحول العافية وفجاءة النقمة؛ لأنهم حينها قد لا يصمدون. كل شيء سيمضي في مساره على سكة الحياة التي رسمت له، طريق يقهر عليه ويستسلم له بالرغم من أنه لا يراه بعد كل ما انصرم من أعوام وسلف من سنين، سعى فيها ليثبت أنها الأنسب لها كشريك حياة، فإذا في أيام قلائل تنقض تلك الأوهام ويبدأ من جديد. والآن، هو يقف برضا ليستقبل المهنيين لحياة حملت في سجلاتها اسم (سارة) دون أن يعلم.

الرضا لا يعني بالضرورة القبول، ربما الاستسلام فحسب، يكفي أن تتكيف مع كل ما يحدث؛ يعني ألا تقاوم، أليس هذا هو الجزء المعينون به في قضية التسيير والتخيير الإلهي وهو ردود أفعالنا؟

كان يقف فعلا، يقف على قدميه، يجاهد ليبقى متماسكا، يسمع والده يهمس لآخر بجواره، لم يتبين شخصه ولم يأبه بذلك يأمره: كن إلى جانبه، اسنده، يبدو أنه متعب وكأنه سيسقط، ثم يقترب منه

ويعدل من عقاله، ويقول بحرج: لقد مال أكثر من اللازم. وأخيرا شعر بخفقان قلبه حين تراءى له شيخ الرجل الذي دخل للتو، ابتسم مرارا وهو ينظر إلى القادم، بينما يتلاشى الماضي وراءه مع كل خطوة يخطوها.

يتهشم زجاج الغلاف الخارجي في رأسه بعد أن كان يتمتع بصفاء عال كصفاء الحقيقة، هي حقيقة وانتهت؛ لكن، هذا الزجاج ما زال يحتفظ بصلابته حتى قبل مجيء الرجل. هذا الرجل يهشم بخطواته الزجاج، وكأنه يدوس عليها. شعر بألم شديد في رأسه وكأن الحطام يخرج من عينيه. هو وفيّ لكل شيء حتى لذكرياته الحزينة، لا يرغب بفقدانها بهذه السرعة.

التغيير المفاجئ لا يحمل راية بيضاء، قد يشعل ضوءا أبيضاً، لكن تسلطه على العين مفزع حقا.

الصورة التي في رأسه بدت عارية من غلافها، يشعر بها تتمزق كعلاقته الممزقة.

هذا القادم أمامه جاء ليمزق الماضي تماما، وأمام تلك الصورة التي كان يحتفظ بها، والتي كان يقف فيها إلى جواره، صار اليوم يقف أمامه، وهذا الوقوف يغير كل شيء تماما.

-بارك الله لكما، وبارك عليكما، وجمع بينكما في خير.

لم تكن تهنئة عادية، وراء كلماته إيقاع خلفي يعزف خيبة، أصغى إليها أكثر، ثمه لحن يدندن أملا، يهدئها.

اعتذر أنه لا يخفى عليه بأنه لا يستطيع المكوث، ويدوره هنأه، وربما شعر أنه من غير اللائق أن يتجاهلها: بلغ نهاد تبريكاتي. تابع بصوت انتزعه من أعماقه: تستاهل كل خير. دقائق قليلة تنتظرها بشغف، تصعد بعدها خشبة المسرح، فتعلن الأضواء وجودها، فيضج الحاضرون اعترافا.

تلك اللحظة التي لم تسع لها قط ولم تحلم بها فضلا عن انتظارها وترقبها، فكان لها كل هذا الاحتفاء في قلبها الذي خفق بشدة، ذلك التألؤ الذي لا يخفى على الناظرين، اختلط بريق عينيها بينما تطلان بججل من خلف غطائها الأسود، وكأنهما ترتديان ثوبا ملكيا يليق بالليالي الفاخرة.

في اللحظة التي ضربت فيها الدفوف في حفل زفاف محمد، أخيرا أعلن اسمها مسبقا باسم الجائزة التي نالها: الفائزة بجائزة أفضل كاتبة مبتدئة في موقع المنتدى الأدبي لعام 1440-1439هـ، نهاد المطوع.



دار بسمة للنشر الإلكتروني

دار مغربية، رقمية، تأسست في 2017

دار بسمة للنشر الإلكتروني. من أهدافها مساعدة الشباب المغاربة والعرب على نشر إبداعاتهم، وإيصال أصواتهم وتغريداتهم إلى العالم كله، كما تطمح لاكتساح عالم النشر الإلكتروني في كل الأقطار العربية..

كما أننا -في محاولة منا لتغذية شريان الثقافة- نسترشد بالضمير الحي من أجل نشر المحتوى الثمين، حاملين على كواهلنا رسالة التنوير الحقيقي، ومدركين كل الإدراك لقيمة القلم النبيلة، لذلك كنا حريصين على نشر كل ما هو قيم. في دار بسمة للنشر الإلكتروني نساند المؤلفين وندعمهم لإيصال إبداعاتهم لملايين من القراء، ونرشدهم إلى آليات فنية تعينهم على تحسين أساليب الكتابة والإبداع. وتقريبا لهذه الغاية تقوم الدار بتنظيم مسابقات متعددة، والإشراف عليها مجاناً من أجل اكتشاف المواهب الشابة التي تستحق أن تُنشر أعمالها بين القراء والمثقفين، وذلك تشجيعاً لهم على الاستمرارية في الكتابة الإبداع.





هذا العمل الإبداعي برعاية دار بسمة للنشر الإلكتروني
بشراكة مع جروب ملتقى الأقلام المبدعة..



للاطلاع على الصفحة الرسمية لدار بسمة للنشر
الإلكتروني على الفيسبوك، يرجى مسح الكود التالي،
أو الضغط على الرابط أسفله:

<https://www.facebook.com/DarBasma99>



للاطلاع على جروب ملتقى الأقلام المبدعة على
الفيسبوك، يرجى مسح الكود التالي، أو الضغط على
الرابط أسفله:

<https://www.facebook.com/groups/1061896247610890/?ref=share>

المحتويات

6	الفصل الأول: إطلالة
10	الفصل الثاني: أنوثة
12	الفصل الثالث: الرد القاصم على المدعي المهاجم
15	الفصل الرابع: بداية الهجوم
17	الفصل الخامس: بداية حقيقية
18	الفصل السادس: الغطاء الأسود
21	الفصل السابع: المقال (2)
21	نداء من آخر الفصل
24	الفصل الثامن: نظرية المؤامرة
25	الفصل التاسع: مطوعة ما تحب
28	الفصل العاشر: المقال (3)
28	على عجل
32	الفصل الحادي عشر: وردة
34	الفصل الثاني عشر: المقال (4)
34	ورق العنب
36	الفصل الثالث عشر: المقال (5)
36	هل يكون الصيني أمريكيا؟!

39	الفصل الرابع عشر: البداية.....
43	الفصل الخامس عشر: إيقاف.....
44	الفصل السادس عشر: المقال (6).....
44	اعف عني.....
45	الفصل السابع عشر: لا ترقص.....
47	الفصل الثامن عشر: مفاجأة.....
51	الفصل التاسع عشر: المقال (7) رائحة حسب النية.....
53	الفصل العشرون: إلى أجل.....
56	الفصل الواحد والعشرون: عناوين متفقة.....
58	الفصل الثاني والعشرون: الفراغ.....
59	الفصل الثالث والعشرون: المقال (8) حنين.....
61	الفصل الرابع والعشرون: مسار آخر.....
66	الفصل الثالث والعشرون: جديد.....
69	الفصل الرابع والعشرون: حنين آخر.....
71	الفصل الخامس والعشرون: خاطرة.....
72	الفصل السادس والعشرون: العودة.....
74	الفصل السابع والعشرون: المقال (9) الجنة والنار.....
76	الفصل الثامن والعشرون: الوظيفة.....
77	الفصل التاسع والعشرون: الخطوبة.....

78 الفصل التاسع والعشرون: الجوع
81 الفصل الثلاثون: انطباع
83 الفصل الواحد والثلاثون: مقال (10)
85 الفصل الواحد والثلاثون: قرار
87 الفصل الثاني والثلاثون: زفاف
94 المحتويات



الأمل الذي يخون، الخيبة التي لا تدم، رحلة الانتظار التي تتوقف عند محطة
ترحب بأحلامنا وتطلعنا لتأملها شاعر مقابرننا. كل المشاعر الخسنة التي تنظم
لتنفجر بعنف وبربريه في داخنا.

قوية هي الحياة، جريء هو الواقع ليضع نغرا يخطف منه أرواح الأحلام فلا يبقى
منها إلا صورة تحترنها الحسرة للذكرى. وكأن الكتابة هي المأوى الذي تطمئن عند
هروبها إليه على آمالها وأحلامها، فيحفظها لها من سهوة الزمن وغفلته وهو الذي
تحامل هموم القلوب وعلل النفس واتسع لها لثلا نصيق بها.**



+212 771 814 934

basma24design@gmail.com



darbassma

www.darbassma.net